فجر
في موستار(❖)

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

مَضَتْ هَزَعَاتُ اللّيلِ والفَجْرُ مُقْبِلٌ ... ولمْ تُقْطَعِ الجولاتُ فيه وتُحْسَمِ
كَأَنَّ النَّدَى يا فَجْرُ دَمْعٌ تَصُبُّهُ ... نكالى عَلَى أَطلالِ بيتٍ مُهَدَّمِ
كَأَنَّ الشَّذَى أَغْضَى على الوَرْدِ وانْطَوى ... وخَلَّفَ من عِطْرِ الدّمَاءِ لدَيْهِمِ
تَسلَّلَ نُورُ الفَجْرِ في رَعَشاته ... تَسَلُّلَ مَذْعُورِ الفؤادِ مُلَثَّمِ
يُرَوِّعُه كَيْدٌ يُدَارُ وفِتْنَةٌ ... تُثَارُ بلَيْلٍ واسعِ الشَرِّ مُظْلِمِ
يُسَابِقُ أَهْوَالَ الرَّدى وزُحُوفَها ... لِيُوقظَ مِن طِفْلٍ وشَيخ وأَيِّمِ
ومن أُسْرَةٍ لمَّ السُّبَاتُ جُفونَها ... بُعَيدَ شَتَاتٍ في الميادينِ مُقحَمِ
وقَد غابَ عَنْهُمْ والدٌ لمْ تَزَلْ لَهُ ... هُنَالكَ في الميْدَان جَوْلاتُ مُلْحِمِ
تَمُوجُ المنَايَا حَولَهُمْ ومَكَائِدٌ ... وتبْتَلعُ الأَمواجُ وثْبَةَ ضَيئَمِ(١)

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وأَقْبَلَ صَربِيٌّ لئيمٌ كَأَنَّهُ ... تَدَفُّقُ أَرْجَاسٍ ووحْلٍ ومَأْثَمِ
ومِنْ حَولِه، لو كُنْتَ تَشْهدُ عُصْبَةً ... تُجَمِّعُ من بَاغٍ طَغَى ومُزَنَّمِ(٢)
كَأَنَّكَ لو أَبْصَرْتَ هُوْنَ غُرُورِهِمْ ... تَرَى قَزَماً في ثَوبِ أَيْهَمِ أَجْسَمِ(٣)
فَفُزِّعَ مَنْ في البَيْتِ مِنْ هول حِقْدِه ... وهَبُّوا وقَدْ أَفْضَى الجَبَانُ إِلَيْهِمِ
تَرَى طِفْلَةً لمْ تَبْلُغِ السَّبْعَ رُوِّعَتْ ... تَمُرُّ بِعَيْنَيْهَا تَدُورُ عَلَيْهِمِ

(❖) موستار: عاصمة الهرسك.

(١) ضيئم : الشديد.

(٢) مُزنم : دعي، لئيم، ملحق بقومه.

(٣) أيهم : من لاعقل له ولافهم.

عَلَيْـهـا رِداءٌ أَحـمَـرٌ لمْ يَزَلْ لَهُ ... بَقَـايا حَـديثٍ للطفـولةِ مُنْعَمِ
وأَصْـداءُ أَشْـوَاقِ الطُّفُولَةِ لم تَزلْ ... تَمُـوجُ عَلَيْـهِ في رجَـا وتوَسُّمِ
ومِنْ خَلْفِـهَـا أمّ حَنَتْ لتَـضُـمَّـهَـا ... وشَيْخٌ تَشَكّى بالضَعْفي ومَهْـرمي
وطِفْلٍ رضِـيعٍ كَادَ يَزْحَفُ نَحْـوَهُمْ ... وَيَصْـرَخُ يَا دُنْيَـا اشْـهَـدِي وتَكَلَّمي
ولما رَأَتْ ذاتُ الرِّداء رَجَـــاءَهـا ... وأَشواقَهَا لم تُوقِظِ الخَيْـرَ فِيهِمِ
تَرَاجَـعَتِ الآمَـالُ وارتَدَّ خَطْوُهَا ... تَشَـبَّثُ بالأُم الحَنونِ وتَحْـتَـمي
فَصَـوَّبَتِ الدُّنْيـا الرَّصَاصَ إِلَيْـهِمِ ... تَدَفَّقَ في رأسٍ وصَـدْرٍ ومِـعْـصَمِ
وأَبلى النِّظام العـالميُّ بِخنجَـرٍ ... ليَطْعَنَ في ظهْـرٍ وجِـيـدٍ وأَعظُمِ
يَدُورُ عـــدوُّ الله بالنّار بَيْنَهُمْ ... ليُـفْـرِغَ من حـقـدٍ شَـديدٍ عَلَيْـهِمِ
تســاقَطَتِ الأُمُّ الحَنونُ وأَفْلتَتْ ... يَدَاهـا وأَهْوَتْ في بِحَـارٍ مِن الدّمِ
وطِفْلَتُـهَـا أَهْوَتْ تَصُبُّ دِمَـاءَهـا ... عَلَيْـهـا، وطِفْلٌ قـد تَناثَر فِـيـهِمِ
وشَـيْخٍ تَهَـاوَى! يا لأَشـلاءِ أُمّـةٍ ... تَهَـــاوَتْ به! يا لِلْحطامِ المكوَّمِ
وَمَـجْـدٍ تَهـاوَى! بَيْنَ أَطْلالِهِ تَرَى ... بَقِـيَّـــةَ تاريخٍ ودمْـــعَـــةَ يُتَّمِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

ولم يبْقَ إلا قِطْعَـــةٌ مِنْ رِدَائِهـــا ... عَلَيهـا بَقـايَا من حَديثٍ ومن دَمِ
كَـأَنَّكَ لو أَصْغَيْتَ تَسْمَعُ صَيْحَـةً ... تَضِـيْعُ بِدُنيـا مُـجْـرِمينَ ونُوَّمِ
وسَالَتْ دِمَاءٌ! فالتقَى النُّورُ عِنْدَهَا ... وعِطْرٌ وأَندَاءٌ وطلعـــةُ مُـسْلِمِ
ليبْزُغَ مِنْها الفَجْرُ يَنْشُرُ مِنْ هُدىً ... ويجْلُوَ مَـيْـدانَ الشَّـبـابِ المعَلَّمِ
وَدَوَّى مَعَ الفَـجْـرِ الأَذانُ وأَوَّبَتْ ... هِضَـابٌ وعـادَتْ بالدُّعَـا والتَرَحُّمِ
كَـأَنَّهُمُ أَهْوَوْا إلى الله سُـجَّـداً ... يُجِـيـبُـونَ أَشْـوَاقَ النِّدَاءِ المُحـوِّمِ
وَقَـدْ خَشَـعَتْ كُلُّ البِطَاحِ ورجّـعَتْ ... صَـــدَاهُ الرُّبى! يَا للنِّدَاءِ المعظَّمِ
ودَوَّتْ به: أَلـله أَكْـــبَـــرُ! رَدّدِ ... إِذنْ يَـا رَوابـي مِنْ هُـداهُ وَعَلِّـمي